

اسمها
وردة



آليل



بعضُ قصصِ المعاناة

لغتها الألمُ

و حروفها الدَّمُ

أرقُّ

فتاة في آخر سنة لها في الثانوية العامة , تنقلب على الفراش تزورها
عدة كوابيس عن الامتحان , فيهرب النوم من عينيها , فتنهض بتعب
لتكمل المذاكرة .

فتاة أخرى بنفس العمر تنقلب على أرض الخيمة , تسمع صوت الزنانة
تفتقد إختوتها بيديها , تظمنُ إلى وجودهم بجوارها , ورغم هذا لا
تستطيع إكمال نومها .

تتعب الفتاة الأولى من المذاكرة , فيغلبها النعاس تنام , والكتاب بيدها ,
وكلها أمل في أن تستطيع الحصول على علامة جيدة في الاختبار .
يغلبُ الفتاة الأخرى النعاسُ , الدمع يتساقط من عينيها , يوماً ما نامت
, ثم استيقظت , فلم تجد أبويها ؛ لذا تنام كل ليلة , وكلها أمل ألا
تكرر المأساة , فتفتقد ما تبقى من عائلتها .

حكاية طائرٍ

لطالما حكى له أجداده حكاية تناقلوها عن أجدادهم عن تلك البقعة المباركة من الأرض حيث يُنثرُ فيها الحَبُّ على رؤوس الجبال فتشبع منه الطيور المهاجرة ، لكن طيور سرّبه في السنوات الأخيرة لم تعد تحلق حول ذلك المكان ، و لأنه طائرٌ يحب المغامرة اتخذ قرار زيارة ذلك المكان ، رغم محاولة كل من حوله تشييطه عن هذا التهور .

حلّق طائرنا حول تلك الأرض عدة مرات ، فلم يزدّه تعب التحليق إلا جوعاً .

خلال رحلته رأى الكثير من المناظر التي جعلته يشك هل كان الأقدمون يكذبون أم أنهم بالغوا كثيراً في تلك الحكايات أم أنّ وضع هذه البقعة تغير كثيراً بشكل بائس ؟

الغُميضة

في الخامسة من عمره كان يختبئ خلف والدته أثناء عملها في الحقل

في العاشرة صار يختبئ خلف الأشجار , و المنازل

في الحادية عشرة لم يعد الأمر ممتعاً

صار يركض بتخبط

لم تعد أمه موجودة

لا ديار , ولا أشجار

يوصل الركض المهم ألا يجدوه .

فتاة الشجرة

في صغرها كانت تحب التسلق على الأشجار , كان غصن الشجرة
بالنسبة لها حنوناً ودوداً كحضن الأم .

تحتضن الشجرة أكثر , لعل هذا الحضن يخفف عنها ألم التعذيب ,
تتساقط دموعها على غصن الشجرة تمنى لو كان كل ما يحدث لها
مجرد كابوس , تتألم , يستمرون في تعذيبها , فتتألم أكثر , ثم تسلم
الروح إلى بارئها .

أمباز

تضوّر الطفلُ الصغيرُ جوعاً ، فتمنى بشدة لو أنه تبقى لديهم أمباز

يستطيع تناوله .

آله أْجوع أكثر .

أه كم يتمنى لو أنه بقي لديهم قليل من الأمباز لعله يسدُّ جوعه .

من كثرة تمني الطفل تناول الأمباز قد تظنُّ أن هذا الأمباز فاكهة غريبة

، أو نوع شوكولاتة ، لكنه في الحقيقة المرّة مجرد علف للحيوانات

اضطر البؤساء إلى تناوله .

بالقلب رجاءٌ

أفاقت من نومها على صوت منبه الجوال مدت يدها بتكاسل, ثم أغلقتة
, توقعت أن تأتيَ والدتها بعد قليل لتوبخها على تأخرها عن الدوام
لكنها لم تأتِ , أمضت عدة دقائق مستلقية على السرير , ثم نهضت
بتأقل , وإعياء شديد خمنت أنه من سهرها طوال ليلة أمس على آخر
المنشورات , و الفيديوهات .

أزاحت الستائر عن النافذة , كانت رؤيتها مشوشة جدا ربما من أثر
النعاس , و بعد أن غسلت وجهها في الحمام اتضح لها الرؤية قليلا ,
فلمحت على المرآة انعكاس وجهها .

تراجعت إلى الورا حتى اصطدمت بالجدار , فآلمها ظهرها بشدة لم
تعهدا من قبل , كان وجهها شاحبا , و عظامها بارزة.

رمت يديها برعب ما هذه الأصابع النحيلة التي تكاد تنكسر إذا
حركتها؟!

غادرت الغرفة مسرعة ، لكن إعياءها الشديد جعلها تسقط على
الأرض ، فالتمتها كل عظمة في جسمها زحفت على بطنها حتى وصلت
إلى صالة البيت ، فوجدت أخاها الصغير الذي لا يكاد يتوقف عن
الحركة ، و الانتقال من هنا إلى هناك مستلقياً على حضن أمها التي
كانت مستندة إلى الأريكة ، و على وجهها شحوب أسوأ من شحوبها .
تنفس أمها بصعوبة شديدة في حين أن أخاها كالجثة الهامدة لا حركة
بها ، نزلت الدموع على وجنتيها و سألت نفسها: أيعقل أنه . . . ؟
حتى دموعها تنزل بصعوبة كأن البكاء ترف على مثلها ، لكن كلها يقين
أن هذا مجرد كابوس تشوشت الرؤية أكثر ، فأكثر ، ثم سمعت صوت
جوالها يرن ، فحاولت الزحف نحو غرفتها لكنها لم تستطع التحرك من
مكانها .

هذه المرة حل السكون في المكان ، حتى صوت أنفاس أمها لم يعد له
وجود أيعقل أنها فارقت الحياة هي أيضاً ؟!

المكان خالٍ و على قلبها تراكت الهموم , فصار إرهابها إرهاباً
مضاعفاً .

الجوال يرن هي تحاول الزحف مجدداً , وكلها يقين أن هذا مجرد
كابوس .

تفتح عينها لتجد نفسها على الفراش المريح , فتبكي بمرارة وقهر
حتى تحمر عيناها نعم كان بالنسبة لها مجرد كابوس لكنه بالنسبة لهم
أفزع واقع .

فبكت و بكت , و قلبها كله رجاء أن يا إلهي عجل لهم بالنصر , و
الفرج , و أعنهم على إيجاد المخرج .

كالسُكَّر

حازم , و حسام يستلقيان على أرض الخيمة , كان المشوار إلى التكية متعباً و أقسى ما في الأمر هو أنّ الأرز انسكب على الأرض أثناء عودتهما , جمعا , ثم أرجعاه إلى الوعاء بكل هدوء , ثم تناولت العائلة الأرز الممزوج بالطين بهدوء .

تنهد حازم , فقال حسام : هذه ليست أول مرة نأكل فيها طعاماً غير نظيف منذ بدأت الحرب ؛ لذا لا داعي للحزن على أرز اليوم .

قال حازم : أعرف أنا أنتهد على ما فعلته الحرب بنا .

تنهد حسام أيضاً .

لمعت عينا حازم ثم قال : أتذكر آخر حفل أقامته مدرستنا ؟

قال حسام: وهل ذلك الحفل يُنسى؟! يكفي أنه كان آخر حفل
مدرسي قبل الحرب .

حازم: ذهبنا إلى الشاطئ بعد انتهاء الحفل اشترى أبي لنا الثلجات .

_ وسقطت مثلجاتك على الأرض . قاطعه حسام ضاحكاً .

_ ثم التقطتها من الأرض , وركضت ورائي و أنت تقول : جرب

الآيس كريم بنكهة الرمل . قالها حازم بغيظ .

ضحك حسام , وقال : كان يوماً ممتعاً .

ابتسم حازم ، ثم واصل كلامه :

_ ضحك علينا الجميع ، فازددت إصراراً على أن أتناول الآيس كريم .

_ ثم ألقك والدي في آخر لحظة , و عاتبني على تصرفي الطائش .

_ حقاً لطالما كنتُ التوأم العاقل ، و كنت أنت التوأم المجنون .

_ احترم نفسك أنا طائش ، و لستُ مجنوناً . قالها حسام معاتباً .

_ و أنت فخور بطيشك إلى هذه الدرجة يا أخي ؟!

_ نعم نعم ألم تسمع ب(كن أنت تزداد جمالاً) ؟!

_ سمعتها حتى حفظتها .

ضحكا بمرح فكان تلك اللحظات كانت بالنسبة لهما مثل حبيبات

السكر وسط واقع مر .

شخصٌ عادي

هو شخصٌ عاديٌّ مثلي و مثلك تماماً , يشاهد ما يحدث فقط , و أحياناً يملُّ من المشاهدة .

كان يتابع حسابات لاعبيه المفضلين , كانوا عالمة الريب , لكن منذ الأحداث الأخيرة صارت الأخبار عالمة الكئيب .

كل مرة تهمس له نفسه :

__ ما فائدة المتابعة ؟ ما فائدة المشاركة و متابعوك لا يتعدون المائة ؟

لقول الحقيقة أنه كل مرة كان يقرر يترك هذا العالم الكئيب , و العودة إلى عالمة المبهج , لكن كانت الأحداث تزداد سوءاً .

لسبب ما تذكر جدته المتوفاة كانت مصابة بمرض مزمن , كان يلبي أي طلب تطلبه منه رغم أنه يعلم أن ذلك لن يغير من حالتها المزرية شيئاً ؛

لعل هذا هو سبب استمراره في النشر عن إخواننا الذين هم حالة
مزرية هم طلبوا منا الاستمرار في النشر عنهم , ودعمهم , ونحن
كأشخاص عاديين عارٌّ على إنسانيتنا تجاهل طلبهم .

دراجة

فتح الحصابة , أخذ المال الذي ادخره , ثم انطلق ليشتري الدراجة التي لطالما حلم بامتلاكها .

دراجة زرقاء جميلة هكذا سيستطيع إحضار مشتريات البيت بجهد أقل .

أبوه متوفٍ , وأمّه تعمل نهاراً في المدرسة , و ليلاً تخطئ الملابس البسيطة .

أمه تحفني بكونه ابناً باراً بها يعيبه فقط ولعه الشديد بالدراجات الهوائية التي لا تستطيع إحضار مثلها له .

أدخل الدراجة الجديدة إلى غرفته وسط استنكار والدته .

_ الدراجة جديدة يا أمي قد يسرقها أحدهم .

_ من السارق الغبي الذي سيسرق دراجة رخيصة كهذه ؟!

بالنسبة له كانت ثروة أكثر من سنة من الادخار ؛ لذا يخشى عليها من السرقة .

ذات يوم نشبت مخالب الظلم في مدينته , البعض يهرب , و آخرون يخبئون في منازلهم , أمه تأخرت لم تعد من المدرسة بعد .

_ ماذا أفعل ؟ كيف أتصرف ؟

من شدة خوفه على ثروته البسيطة أغلق الباب على دراجته , و بقي في صالة البيت المتواضعة منتظراً قدوم والدته .

طلق نار ، صراخ , بكاء , عويل .

كل هذا كان يفوق احتمالاه , شخص ما يركل باب بيته , شخص ما سيكسر باب البيت .

أغْمض عَيْنِيهِ بِخَوْفٍ ، ثُمَّ اسْتَيْقِظَ عَلَى صَوْتِهِ وَالدَّتْهُ تَهْزُهُ بِرَفْقٍ : هِيَ يَا بُنَيَّ حَتَّى لَا تُؤَخِّرَ الْبَقِيَّةَ .

كَانَ نَائِمًا بِجَوَارِ الدَّرَاجَةِ ، وَ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ تَوَسَّلَ إِلَى وَالِدَتِهِ أَنْ تَتْرَكَهُ
يَأْخُذُ الدَّرَاجَةَ مَعَهُ لَكِنَّهَا رَفَضَتْ .

رَسَتْ سَفِينَةُ حَيَاتِهِ عَلَى شَاطِئِ لَمْ يَأْلَفْهُ تَطَارُدُهُ النُّظْرَاتِ أَيْنَمَا ذَهَبَ
هُوَ ، وَ وَالِدَتِهِ . عَمِلَتْ وَالِدَتُهُ فِي تَنْظِيفِ الْمَنَازِلِ رَأَى فِي عَيْنَيْهَا
انْكَسَارًا مُوجِعًا خَاصَّةً عِنْدَمَا تَوْبِخُهَا أَحَدَ السَّيِّدَاتِ بَعْتَفٍ ، وَ تَرَشَّقَهَا
بِأَفْطَحِ الْأَفْظَانِ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الْبَائِسَةُ مِنْ تِلْكَ الْمَعْلَمَةِ الرَّائِعَةِ الَّتِي يُضْرَبُ
بِهَا الْمِثْلُ فِي إِجَادَةِ الشَّرْحِ ، وَ حَسَنِ التَّعَامُلِ ؟ !

الْحَقُّقَةُ وَالِدَتُهُ بِالْمَدْرَسَةِ رُبَّمَا خَافَتْ عَلَيْهِ مِنْ مَصِيرٍ يَشْبَهُ مَصِيرَهَا ، وَ
كُلَّ يَوْمٍ يُوَدُّ لَوْ أَنَّهُ جَلَسَ فِي الْغُرْفَةِ الْبَسِيطَةِ بَعِيدًا عَنِ حَيَاةِ التَّنَمْرِ ، وَ
الْمُضَابِقَاتِ .

مر العام ثقيلًا على القلوب لكن الغرفة البائسة اليوم تشهد فرحةً متواضعةً
لقد حصل الفتى البائس على الترتيب الثالث في صفه بأعجوبة .

أكلا الحلوى لأول مرة منذ فترة طويلة ضحكا بفرح حقيقي لأول مرة
منذ شهور .

غادر مدينته التي لم تغادره يوما , لكن بداخله يقين أنه سيعود حتماً , و
عندما يعود ستصير أمه مديرة مدرسةٍ ما , أما هو فسيعمل , ويعمل ,
ثم سيكون لديه محل كبير لبيع الدراجات الهوائية .

السمرءُ الفاتنةُ

من لا يعرفُ السمرءَ الفاتنةَ ابنةَ الحاجِ عماد ؟!

لا يدري المرءُ حين يتحدث عنها بأي شيءٍ يبدأ بجمالها ، أم بحسبها ، ونسبها ، أم بأسلوبها الجميل ، أم بدلالها الذي تحظى به من والدها ؟!

تتوقف عن الرقص تلهف بشدة كل عظمة في جسمها تؤلمها ، تنهد بألم ، ثم تواصل الرقص .

لا أحد يدري كم شخصاً رفضه والدها انتظارا للأفضل ، هي من تحظى بأفضل اللباس ، أفضل الحللي ، أفضل الخدم ، كانت تعلم أن أباه لن يرضى لها إلا بالأفضل ، وكانت موقنة بأن هذا الأفضل آتٍ .
توقفت عن الرقص مرة أخرى لوهلة أرادت الالتفات إلى الخلف لكنها عدت عن ذلك بسرعة ، وواصلت رقصها .

من لا يعرف السمراء الفاتنة ؟! حتى الذئاب سمعت عنها قبل وصولهم
إلى منطقتها , ويبدو أن عطر سيرتها قد أصاب الذئاب بالسعار .
ولأول مرة أحس الأب بخطر يهدد جوهرة الفاتنة , وفي تلك الليلة
أشارت عليها عيناه الدامعتان بالهرب , فهَمَّ قلبها الإشارة , لم تسأله
ماذا سيفعل إذا سأله عنها ؟ ولا ما الذي سيجري له حينها ؟
فقط ركضت و الدموع تملأ عينيها .

نعم إنها هي السمراء الفاتنة تلتحف بالسواد أثناء ركضها في ظلمة الليل
تركض إلى أي مكان , و سترضى بأي مكان , المهم ألا تنهشها الذئاب
أمام والدها الحبيب .

طائرَتان

قالت طائِرة لشريكها : أسمعِين أَيَّ صوتٍ للأمل ، أو أَي نداء للحياة
؟ !

ردت الأخرى : لا ، فصواربخنا كهيئةٍ بِإسكات أَي صوت مهما علت
نبرته .

الأولى : لكنني أسمع .

الثانية : لا شك أنك توهمين .

ردت الأولى : إِذن أنصتِ .

وبعد عدة دقائق قالت الثانية : فعلا هنالك أصوات خافتة نعم ، لكنها

في النهاية الأمر مجرد أصوات ، لنفترق ، فنُفترِّق كل محب ، وحبيب

.

و بعد عدة دقائق من القصف الشديد التقت الطائرتان، و أكدت كل منهما للأخرى أنها ما زالت تسمع الأصوات .

و بعد ساعات أخرى من الدوران، و الانفجارات ، ما زالتا تسمعان تلك الأصوات حتى ارتبكتا ، و في نهاية الأمر اصطدمت كل منهما بالأخرى ، فسكتت الطائرتان إلى الأبد ، و بقيت أصوات خافتة تتردد لحياة كلك التي يقال عنها أنها حياة .

طفلي

تعرضُ الشاشة مشاهد مجاعة أذبلت أجساداً نضرة ، تحمل ابنها على جنبها الأيمن و تمسك جوالها بيدها اليسرى ، تتجاهل الشاشة و تركز على اتصالها .

_ أمي طفلي يركض قليلا ، ثم يسقط .

_ طبيعي هذا لأنه لا يأكل جيداً .

_ أعلم لكن ما الحل ؟

_ انتظري يومين أو ثلاثة المرض يجعله يرفض الطعام إذا تحسن ستعود شهيته كما كانت .

_ يومين أو ثلاثة ؟ ! أتريدن أن يظل طفلي حبيبي مكثفيا بلقيمات من الطعام يومين كاملين ، أو ثلاثة أيام كاملة ؟ !

تعرض النشرة مشاهد مفاجئة تلتقت إليها تلقائياً ، تعاود النظر إلى طفلها لترى وجها نضرا ، و حدودا مكتمزة كل ما فيه يدل على أنه طفل يعيش طفولته .

تنهدت ، ثم أطفأت الشاشة ، ثم أخذت طفلها مرة أخرى إلى الطبيب ، و صوتٌ في داخلها يهتف :

— يومين أو ثلاثة ؟! أتريدون أن يظل طفلي حبيبي مكفيا بلقيمات من الطعام يومين كاملين أو ثلاثة أيام كاملة ؟!

النسخة الغربية

أحدهما يتقدم إلى الأمام ، فيزحف الآخر إلى الخلف متراجعاً عندما تتأمل ملامحهما تظنُّ من فرط التشابه أنهما أقرباء .

تكملُ مشاهدة الفيديو لتصعقك المشاهد المؤلمة الأول يجلد الثاني بالسوط، الثاني يرجى الأول بشدة أن يتركه و شأنه ، لا يزيد رجاء الثاني الأول إلا عنفاً ، وقسوة.

— بالله عليك ارحمني .

يبتر الباغي عبارة البأس ، لم يكن التذكير بالله ليخفف شيئاً من قسوته .

يدرك أنه إذا لم يكن حامل السوط سيكون مكان هذا البأس المجموع الذي يتلقى الضرب .

لذا يفضل أن يظلم هذا , و حتى من الممكن أن يقتله ببساطة ؛
ليضمن لنفسه عيشاً أفضل , من المؤلم أننا صرنا نعيش في زمن صار
فيه الظلم , و التسلط على الضعفاء نوعاً من السعي للقيمة العيش .
يخفت صوت البائس تدريجياً , فيشعر موظف الظلم بأن دوام اليوم
قد انتهى , فيغادر , و هو يخطط لدوام الغد , فهناك بائس جديد
سيقتات على تعذيبه .

درع

تلا آيات من القرآن , قرأ أذكاره , فملأت الطمأنينة نفسه , فلم يجد التردد مكانا يحتله .

حمل سلاحه , ثم انطلق يعدو بسرعة لإن بداخله يقيناً لا يخالطه شك برب الكون , يشعر أن كل ما حوله من أحجار , و حطام يؤيده بل حتى صوت تلك الطائرة المزعجة بدا كأنه صوت تشجيع .

يصيب الهدف , ثم يركض عائداً إلى مكانه , تسد طريقه دبابة , يحاربها بسلاحه , فيصيبه قناص كان يترصده .

يبتسم منتصراً على أعداءه , أخيراً سيلتم شمله مع من يجب .

الرسامة

يستحيل أن تفوت مشهد شروق الشمس ، ولا مشهد غروبها على
ساحل البحر ، بدراً بدا في السماء كرة متأقّة ، أو شجرة تزينت
غصونها براعم صغيرة دون أن تأسّر نسخة من ذلك المشهد في إحدى
لوحاتها .

_ كلُّ جمالٍ يستحقُّ أن يؤسّرَ في لوحة .

هكذا كانت ترد على كل من يعلق على كثرة انهماكها في الرسم .

ضاعت الألوان ، واحترقت الدفاتر ، لكن نفس الفنانة ما زالت تعيش
بداخلها .

صارت ترسم لوحات بسيطة على التراب ، ثم تصورها بجوال إحدى
قرباتها .

تمكّن الجوع منها , لم تعد تمارس هويتها , لكنها صارت تحقد بتركيز شديد في كل مشهد مؤلم يتكرر في يومها .

صارت تقول لنفسها :

— يوماً ما حين يبسر الله لنا النصر , سأرسم كل وجع لا لأقوم بأسره , بل لأوصله إلى الناس أجمع بكل لغاتهم , وهوياتهم ليعرفوا حجم معاناتنا نعم سأفعل ذلك بإذن الله تعالى .

بابا

على جوال والدتها تشاهد فعالية مرحة ، المذيع يمسك الميكروفون ، و يتجول في المجمع التجاري يسأل الأطفال يجاوبون ، فيصيبون ، أو يخطئون ، ويعلو صوت الضحكات البهيجة.

كانت عيناها تحرق في شيء واحد فقط في الميكروفون .
_ حتى بابا كان رجلاً طيباً لا يؤذي أحداً . قالت في نفسها ، ثم مسحت دموعاً فرت من عينيها.

_ مجرد رجل طيب مرح يمسك بالميكروفون ، فلم قتلوه يا ترى ؟!

يشعرُ بالأسى

يشاهد فظاعة ما آل إليه حال إخواننا , يشاهد أعيناً استقر الخوف
فيها أكثر من ذي قبل , يشاهد أجساداً سلبها الجوع روث الحياة ,
يتنهد بحزن , ويكتب عدة تعليقات حزينة .

هو يشعر بالأسى , لكنه لا يستطيع فعل شيء لهم , ثم يمص ما تبقى من
مشروبه المفضل بين قوسين داميين (المقاطع) .

أمل برائحة الدم

في رقعة الأرض الأولى يستعد الأب الجائع , يودع بنظراته الحزينة
الأبناء الجائعين , يسير المسافات الطويلة , فيجد نفسه قد وصل
متأخراً رغم ذلك يحشر نفسه وسط الزحام بما أنه وصل إلى مكان
توزيع المساعدات سيعود الليلة على الأقل بكيس طحين .

في الأرض الثانية يودع الأب الجائع أبناءه الجائعين بنظراته الحزينة ,
سيلتقي بعد قليل بأولئك الشباب الشجعان الذين أحضروا شيئاً ما
يمكن للبشر تناوله .

الجوع ينهكه بشدة , لكنه بعد أن يلتقي بالشبان سيجد لقمة , أو لقمتين
تسكت جوعه .

يدوي الرصاص في كلا المكانين ، يتساقط الناس حول الرجل الأول ، و عقله لا يستوعب الأمر الذي يحدث حوله ، يواصل تقدمه ، شيء ما يطلخ ملابسه ، كانت دماء أحد الأشخاص .

الأمل بقلبه يدفعه إلى الأمام سيحصل اليوم على كيس الطحين ، تطلخت ملابسه بالدماء مرة أخرى لكنه هذه المرة لم يواصل تقدمه .

في رقعة الأرض الثانية يتلفت الأب حوله أكان يتوهم ؟!

يسمع صوت الرصاص مرة أخرى ، فيقرر عقله التراجع ، و العودة إلى البيت .

لكن قلبه عاتبه بشأن تلك الأعين البائسة التي كانت تأمل أن يحضر لها شيئاً معه ربما ليس للأمر علاقة بالشبان ، تسلل بخوف ، ثم فُجِعَ بمقتل الشباب الشجعان .

تراجع عائداً إلى منزله ، فوجئاً بالباب المكسور دلف إلى الداخل بوهن

لا أحد في البيت .

ومن حيث لا يدري ، تفاجأ بفوهة التصقت برأسه أذهبت حيرته ، و
أزهقت روحه البريئة .

أربع

تحتل كل فتاة مكانها المفضل , فتجلس الشقراء على الأرض , و بين يديها لافتات , تستلقي الغافلة على سريرها , و تصفح وسائل التواصل الاجتماعي بينما تستلقي اليائسة على سريرها , و تحرق في سقف الغرفة .

تجلس العقلانية قبالة الشقراء .

_ هل ستشاركون في هذه المظاهرة أيضاً ؟

تهز الشقراء رأسها .

_ ألن تشاركي أنتِ ؟!

تنهد العقلانية , ثم تقول بمرارة :

_ لا .

تتوقف الشقراء عن الكتابة , و تقول بمرارة أشد :

_ لم ؟

تدخل اليائسة :

_ لأنها أدركت أنه لا فائدة من هذه المظاهرات .

_ مثلما أدركت أنت أنه لا فائدة من متابعة أخبار غزة أليس كذلك ؟

هتقت الشقراء بأسى .

هزت اليائسة رأسها , وقالت:

_ نعم متابعة الأخبار لا تجلب لي سوى الألم.

تدخلت الغافلة :

_ إذن تابعي المشاهير الذين أتابعهم ليتحسن مزاجك .

تجاهلنها , و أكملن حوارهن , فقالت العقلانية : سأكتفي بالمقاطعة و النشر , و التبرع , لا داعي للمجازفة , و الخروج في مظاهرات , أتيت إلى هنا لأجل المنحة , و قد أخسرها بسبب مشاركتي في المظاهرات .

أيدتها اليائسة : نعم نعم لا داعي للألم , أمر غزة مفروغ منه , فكل قوى العالم ضدها , أتعجب من الناس الذين ما زلوا ينشرون و يجمعون التبرعات هل يظنون أن هذا سيوقف الحرب ؟

تنهدت العقلانية ، ثم قالت :

_ للأسف أنتِ محقة في هذه النقطة أيضاً ما فائدة اللقمة لطفل

سيتصرف في أي لحظة ؟!

_ ليس في وسعنا فعل شيء لهم لطالما رددتُ هذا الكلام , و لم

تنصتن لي منذ البداية . قالت الغافلة .

طالعت الشقراء وجوههن بخيبة أمل مريرة , ثلاثهن عربيات مسلمات
 , ورغم ذلك تبدو هي الأكثر تعاطفاً مع أهل غزة .

نظرت إلى لافقاتها تأملت العبارات المكتوبة باللون الأحمر تذكرت كل
مشاهد الإجرام في غزة , ثم هتفت بقهر : بعض الأمل لا يأتي دون ألم
 , ولا نصر دون عمل .

الجد

كان جداً محبوباً ، كان لديه أبناءٌ بارون ، لا تشاهده ذاهباً إلى
المسجد إلا ، ويد أحدهم تمسك يده .

يسمعُ صوتُ صراخٍ أمر ، ينظرُ إلى تلك الحفرة ، ثم ينظرُ إلى الظالم و
إلى سلاحه .

يتذكر أيامه مع أبنائه البارين ، وحفدته الودودين ، فيبدو الحاضر
كابوساً فظيماً ينتظرُ لحظة الاستيقاظ منه .

يزجره الجندي ، ويشير إلى الحفرة بمقت .

يزحف إلى الحفرة بوهن شديد ، وقلبه يأمل أن كل ما يحدث مجرد
كابوس .

اسمها وردة

اسمها وردة وكل ما فيها يشبه الورد , بياضها الذي يشوبه التورد , لطافتها , رقتها , إعجاب من حولها بها , ثم تأتي كلمة (لكن) الموجهة , لكن حياتها الجميلة تغيرت , و مثلما تذبل الوردة ذبل كل شيء جميل فيها .

والدها ذهب لإحضار المساعدات , تأخر في العودة , كانوا عطشى .
رمقت جالون الماء الفارغ بفضول , والدها تأخر كثيراً هذه المرة ,
عسى أن يكون في هذا التأخر خير , ظلت ترمقُ جالون الماء بتفكير
والدها يجلبه كل مرة , و العرق يتصبب منه فكيف ستقدر طفلة مثلها
على حمله؟!!

عيون إخوتها المرتقبة , شفاههم المتشققة جعلتها تتوقف عن التفكير .

اتخذت القرار , فودعت إخوتها الصغار , أثناء رحلتها لجلب الماء كان كل معارفها يرمقونها بتعاطف كبير , وشفقة .

وردة لم تعد أنيقة جذابة كالورد , بشرتها شاحبة , شعرها لم يعد يتطاير مع نسيمات الهواء , عمرها سبع سنوات لم تُجد الاعتناء به بعد , أمها لم تعد موجودة , ألم أقل سابقا لقد ذبل كل شيء جميل في حياتها ؟!

تملاً نصف الجالون بصعوبة , و تحاول حمله بيديها الواهنتين , في الطريق يساعدها بعض الأشخاص المنهكين على حمل الجالون .

تعود إلى الخيمة , وقد تمكن الإعياء منها , صبت الماء لإخوتها الصغار , ثم استلقت بتعب , ستشرب هي الماء بعد أن ترتاح قليلاً , تعمض الورد الزاكية عينيها .

تمر عدة دقائق تنطلق صواريخ تستهدف الأمل , فتحترق الخيام , يصرخ إخوتها الصغار , بينما ترقد هي بأمان عجيب .

اسمها وردة , وكل ما فيها يشبه الورد , ولا يليق بالوردة الزاكية إلا أن
تكون في الجنان .

هند

في هذا العالم الغريب هناك هندٌ تبلغ السادسة عشرة من العمر تستلقي على فراشها المريح ، و هندٌ أخرى في السادسة من العمر محاطةٌ بالدبابات .

هندٌ قصتنا هذه أقسى تجربة خاضتها كانت عندما ضاعت في مدينة الألعاب ، ثم استطاعت أمها إيجادها قبل حلول الظلام .

اسم هندٍ في الأخبار يؤلم هنداً ، هذا ما جعل هند تراقب ما يحدث لهند الصغيرة بقلق ، و خوف شديد .

هند مراهقة تظن أنها صارت تعرف الحياة كالبالغين بل ، و أفضل منهم ، قالت لنفسها : هذه مجرد طفلة بريئة العالم كله يعرف هذا ، سيتم إنقاذها بالتأكيد .

تترقب بلهفة كل خبر , و أدنى بارقة أمل , و أضعف وميض نور , لكن
الأمر تسير في اتجاه مخيف , و مقلق .

لا خبر يطمئن القلب , و يسر النفس , لا يوجد غير أصابع الظلم , و
البغي تعصر قلب طفلة صغيرة .

ألسنا في زمن التطور , و الرقي و حقوق الإنسان ؟! أليست هند
مجرد طفلة بريئة ؟! أليس بقية أطفال غزة مجرد أطفال أبرياء ؟!

هنا تتساءل همدنا هل فهمت كيف تسير الأمور فعلاً ، أم أن الضبابية
زادت عن ذي قبل ؟!

آن الأوان

يدٌ صغيرة تحاول إيقاظه برفق ، يفتح عينيه ، الرؤية مشوشة ، الظلام يزيد
المنظر تشويشاً ، يرى الشخص الذي كان يقوم بإيقاظه .

طفل صغير ، بالأصح جسد طفل صغير بلا رأس ، يصرخ ذلك الشخص
، فيتلاشي الجسد ، ويدرك أن ذلك كان مجرد كابوسٍ ، يدفن وجهه
في الوسادة الناعمة يغمض عينيه ، فيغط في نوم عميق .

يدٌ أكبر تهزه بشدة ، يستيقظ ليرى رجلاً مشخناً بالجراح يحمل على
ظهره الدامي كيس طحين ، يصرخ ، فيستيقظ .

يتهد ، كل ما حوله يزيد توتره و خوفه حتى منظر الليل خارج النافذة
بدا له مرعباً ، يغلق نافذة الغرفة ، يرفع درجة التكييف ، يغط في نوم
عميق .

يشعر بوخز إبرة , فيستيقظ ليجد ممرضاً بيد واحدة , وخلفه طبيب
لا تستطيع تمييز ملامحه من كثرة الجراح , يصرخ فيتترك الممرض الإبرة ,
ويضع يده على فمه .

يستيقظ ليجد نفسه في سريره , يبدو أنه سيجن الليلة , يحاول النوم
هذه المرة , لا يستطيع , ثم بعد حوالي ساعة غفى .

هذه المرة استيقظ على صوت جلبة في الغرفة حرك رأسه بهلع نحو
جهة باب الغرفة , كومة من اللحم البشري تجهز كاميرا التصوير , وكومة
أخرى تمسك بالميكرفون .

لم يتحمل ذلك , ركض نحو النافذة هارباً , ارتطم رأسه بالنافذة
المغلقة , حاول الهرب أكثر من مرة , وكل مرة يؤلمه رأسه أكثر .

استيقظ ساكنوا البيت على صوت الإزعاج فتح أحد أفراد العائلة باب
الغرفة ؛ ليجد ذلك الشخص دامي الرأس ملقى قرب النافذة المغلقة , و
في الصباح تم الإعلان لقد انتحر جندي آخر .

رغم كل شيء

يقف طلابي على خشبة المسرح , أجلس قبالة جهاز الحاسوب المحمول , دربتهم على هذه المسرحية لأسبوعين , حاولتُ أن أختار لكل طفل دوراً بنفس الاسم لعل ذلك يغرس في قلب الطفل بذرة حب الحق , والدفاع عن الحقيقة .

بين حطام مستشفى يحاول الأطباء , و المسعفون إتقاذ مجموعة من الأطفال , يوسف , آمنة و جالون الماء بيدها , كمال , روح الروح .
يقف مجموعة من الصحفيين , و الصحفيات خلفهم المصورون .

المشهد التالي كان أصعب مشهد في التدريب , سيدوي بعد قليل صوت انفجار , و الحقيقة أن صوت الانفجار هو صوت صاروخ حقيقي جلبته من الانترنت , و نقول الحقيقة الصوت يرعب القلب فعلاً .

شغلت الصوت , فدوى رهيباً مفزعاً , اضطرب الحضور , بينما بقي ممثلو المشهد شامخين غير مباليين , يبدو أن الأطفال اعتادوا على الصوت , لكن ليس هذا ما تدرّبنا عليه !

أعدتُ تشغيل الصوت , وبقي الأطفال على حالهم المسعفون يساعدون المرضى , و الصحفيون ينقلون الخبر .

أعدتُ تشغيل الصوت مرة أخرى لعلهم يتذكرون السيناريو , لكنهم ظلوا شامخين , فتوقفت , وأدركت أنهم اتفقوا على أمرٍ ما .

حل الهدوء , و ترقب الجمهور نهاية المسرحية , لكن الحقيقة أن المسرحية ظلت مستمرة , إلى أن ملوا , ثم بدأ الحضور في المغادرة .

حل الظلام , فتوقف الأطفال , فصفتُ لهم مع من تبقى من الحاضرين .

نعم المأساة مستمرة للأسف الشديد ؛ لذا يجب علينا ألا ننسحب
بسبب تكرار المشاهد , يجب أن ندعمهم حتى تحين نهاية حقيقية
لهذا الظلم , والشقاء .

وفي آخر صفحة تتساءل النفس هل ستجد هذه الكلمات عقولاً

واعية , وقلوباً مصغية ؟

لقد انتشرت مشاهد مفرجة , وخطابات تقطر ألماً , فلم نجد من

التأثير إلا القليل .

ولا أجد ما أقوله غير " اللهم هذا ما قدرت عليه أنا ملي الضعيفة

فاللهم تقبل اللهم هون عن إخواننا الشدائد التي يلاقونها اللهم أهب

قلوبهم بنصر عاجل اللهم آمين "



بعض قصص العائنة

لفتها الأم

وعرّفها الرّم